

التحولات المجالية والمعمارية بأرياف مدينة تلمسان دراسة وصفية لتطور المسكن بقرية زلبون

Spatial and architectural transformations in the countryside of Tlemcen : A
descriptive study of housing development in the village of Zalbon

توهامي عثمانى* ، مخبر الجريمة والانحراف بين الثقافة والتمثيلات الاجتماعية، جامعة لونيبي علي
البليدة 02, et.otmani@univ-blida2.dz
شريف درويش ، جامعة لونيبي علي البليدة 02 ، derouiche.cherif@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/12/30

تاريخ القبول: 2022/12/09

تاريخ الإرسال: 2022/05/23

ملخص:

تعالج هذه الورقة مظهر من مظاهر التحول العمراني بأرياف مدينة تلمسان، يأتي ذلك من خلال تطور المسكن باعتباره منشأة بشرية، ووحدة عمرانية متجددة. ومعبرا في نفس الوقت عن مدى التحولات السوسيواقتصادية، والثقافية التي تمر بها التجمعات السكانية بصفة عامة، في انتقالها من المستوى البسيط إلى المعقد. اختارت الدراسة "قرية زلبون" كميدان بحث، لما شهدته من تحولات في السنوات الأخيرة في جانبيها المجالي والسكني، وقد قامت الدراسة بوصف المجال العمراني والإجتماعي العام للمنطقة، والتطرق لمراحل تطوره، مع إبراز النماذج السكنية المتواجدة بالقرية. كما قد أشارت إلى مظاهر التحول على مستوى الانتشار المكاني، ومورفولوجية المسكن وتجهيزته الداخلية، محاولة الوقوف على أهم العوامل الاجتماعية والثقافية التي ساهمت في انتقال المجتمع من الطابع الريفي الذي كان يميزه، إلى مجتمع يمكن القول على أنه ذات طابع حضري شبيه بالحياة المدنية، خاصة فيما يتعلق بالجانب العمراني. وقد انتهت الدراسة إلى اعتبار أن التحول المجالي والعمراني بالمنطقة، لم يحظ بالتخطيط المسبق، إذ تميز بالعشوائية، ولم يراعي الخصوصية الأيكولوجية للمنطقة.

الكلمات المفتاحية: التحول، العمران، المسكن، الريف، زلبون

* المؤلف المرسل

Abstract :

This paper deals with an aspect of urban transformation in the countryside of Tlemcen, which comes through the development of housing as a human facility, and a renewable urban unit. At the same time, it expresses the extent of socioeconomic and cultural transformations that population groups are undergoing in general, in their transition from the simple to the complex level. The study chose "Zalboun Village" as a research field, because of the transformations it has witnessed in recent years in its spatial and residential aspects. The study described the general urban and social field of the area, and touched on the stages of its development, highlighting the residential models in the village. She also referred to the manifestations of transformation at the level of spatial dispersal, the morphology of the house and its internal preparation, an attempt to identify the most important social and cultural factors that contributed to the transition of society from the rural character that distinguished it, to a society that can be said as having an urban character similar to civil life, especially in what On the urban side. The study concluded that the spatial and urban transformation in the region did not have prior planning, as it was characterized by randomness, and did not take into account the ecological specificity of the region.

Keywords: Transformation, urbanization, dwelling, countryside, Zalbon

مقدمة:

تجمع الدراسات التي تناولت المجتمع الريفي الجزائري، على أن هذا الأخير شهد تحولات عميقة خلال السنوات الأخيرة ويرجع ذلك إلى حجم التحولات السيسواققتصادية والثقافية التي مرت بها تلك المجتمعات. وقد كان الديوان الوطني قد دل على هذا التحول من خلال الإحصائيات التي قد نشرها 2007 حين أشار إلى أن مجموع السكان المشتغلين في الريف الجزائري بلغ 3 ملايين وثلاثمائة بالتقريب منهم 27.4% يعملون في الزراعة و42% في التجارة والخدمات و9.2% في الصناعة و21.4% في قطاع البناء والأشغال العمومية (2007, pp. 1-2)، ولعل المشهد الأبرز الذي يمكن ملاحظته في هذا التحول هو الجانب العمراني والسكني، إذ يمثل المسكن أحد أهم الوحدات العمرانية التي تتميز بها المجتمعات الريفية، حيث شهد تطورات على مستوى مورفولوجيته التي أضحت شبيهة بتلك الموجودة في المدينة. إن "قرية زلبون" بمدينة تلمسان تمثل أحد تلك المجتمعات، فالانتقال من مستوى معيشي لآخر قد عبر عنه تطور

المسكن في شكله، وتبينته الداخلية، الأمر الذي ساهم في تحول نمط التساكن وتغير مورفولوجية القرية بشكل عام بفعل الحركية الاجتماعية، التي مرت بها القرية عبر فترات زمنية متباينة. إذ تعتبر الحركية الاجتماعية عامل مركزي للتغيرات الأسرية وعامل مساعد أو تابع من عوامل التغير الاجتماعي، خاصة القيمي-ثقافي كما أن الحركية الاجتماعية بمختلف أشكالها تتعالق مع التحولات التي قد يشهدها المجال (أبال، 2012، صفحة 49) ولو أن لكل فترة خصائصها، فإن قراءة مظهر تحول المسكن وتطوره يأتي من خلال تتبع تلك المراحل التي مر بها المجتمع، ووصف طرق تساكُن العائلات المتغيرة من فترة لأخرى، التي من شأنها أن تنتج أشكال هندسية وقضاءات جديدة تتلاءم وحاجات الأسر، وفقا للظروف الاجتماعية والثقافية.

1. أهمية ومشكلة الدراسة:

تسعى الدراسة إلى وصف المجال العمراني والسكني "لقرية زلبون"، والكشف عن العوامل والأسباب التي ساهمت في تحول التركيبة العمرانية بالمنطقة. فمن خلال تطور المسكن، يكون الهدف هو إبراز الخصائص المورفولوجية التي تميز بها في كل مرحلة، لجعلها قابلة للمقارنة من أجل الوقوف عن الثوابت والمتغيرات المجالية، مع محاولة ربط هذا التطور بالبنية الاجتماعية والثقافية لمجتمع البحث. كما وتمثل الدراسة محاولة لتسليط الضوء على نشوء تجمع سكني في إطار حيوي لقرية ريفية لها مميزاتا الأيكولوجية. وباعتبار أن بداية هذا التطور قام على أساس قرابة دموي أو تصاهري (شناق، 1998، صفحة 165) فقد وظفت الدراسة بعض المناهج والنظريات الأنثروبولوجية. من خلال استخدام تقنيات وأدوات العمل الميداني، على غرار المقابلات المفتوحة، والملاحظة والتصوير الفوتوغرافي لنقل الوقائع والتعامل مع الأنماط المختلفة التي تشكل المشهد العمراني بشكل عام.

1.1. الموقع ومورفولوجية القرية:

بصفة عامة تعد القرى الريفية من أقدم مراكز الاستقرار البشري فقد اضطرت الإنسان إلى الاستقرار عبر حقب طويلة ظل خلالها متنقلا طلبا للماء والكأ أو سعيا وراء الراحة والأمان. وان استقرار الإنسان ارتبط أول الأمر بالملاجئ والكهوف والتي اتخذت فيما بعد شكل منازل صغيرة سميت بـ"القرية" (فليجة، 1979، صفحة 176).

تقع قرية زلبون جنوب بلدية بني مستار التي تتبع لها إداريا والتي تأسست بدورها في العهد الاستعماري سنة 1957 (بوزناشة، 2015، صفحة 129). تبعد عن مقر ولاية تلمسان بحوالي 13 كلم على الطريق الوطني رقم 7 المؤدي إلى دائرتي صبرة و مغنية يبلغ تعداد سكانها حسب الإحصاء العام للسكن و السكان سنة 2008 حوالي 5764 نسمة (بوزناشة، 2015، صفحة 176) يتميز نسيجها العمراني ببنيات متلاصقة و متجاورة واقع على منحدر جبلي يمتد من الجنوب إلى الشمال. وقد وردت في كتابات الإدارة الاستعمارية من خلال قانون "سيناتيس كونسيلت" باسم أهل زلبون سنة 1893م، حيث قدم وصف

للتركيبة البشرية لسكانها وطبيعة نشاطهم في تلك الفترة. وقد ذكر أن أهل زلبون هم مزيج من العرب والبربر. وأن المنطقة خضعت للسلطين الزينيين، والعثمانيين وحكم الأمير عبد القادر. يتميز نشاط سكانها بالرعي والفلاحة، وقد بلغ عدد سكانها حسب التقارير في تلك الفترة 1039 نسمة، وأن المنطقة عبارة عن ثلاث عائلات كبرى يشكلون تجمع حضري.

وللحديث عن التوسع العمراني بالقرية فالملاحظ أنه قد جرى بشكل أفقي، أي من ناحيتي الشرق والغرب نظرا لصعوبة التضاريس من الجنوب، المتمثلة في الجبال والجرف و من الشمال أين يحد بطريق السكة الحديدية، الرابط بين تلمسان و مغنية و ما دونهما من أراض فلاحية، و بعض البنايات التي أنشأت حديثا المتواجدة بمدخل القرية "passage".

تتميز القرية بكثافة عمرانية، حيث يوجد طريق رئيسي يمتد من شرقها الى غربها، تتوزع السكنات على أطرافه باتجاه الشمال والجنوب، و تتفرع منه طرق فرعية في شكل أزقة و دروب تتميز بالضيق أحيانا، و التوسع النسي أحيانا أخرى. بها ثلاثة مساجد، الأول في المدخل الشرقي للقرية و الذي بني في حدود سنوات التسعينات من القرن الماضي، ومسجد الزاوية الواقع في الجنوب الشرقي، والمسجد الرئيسي (المسجد العتيق) الواقع في وسط القرية، و الذي بني بعد أن هدم المسجد القديم. على الشارع الرئيسي بجواره من الناحية الشمالية الغربية، يتواجد السوق القديم (المحى) عبارة عن ساحة و بنايات قديمة بنيت بمواد محلية آنذاك كالخشب، و الطين و الحجر و تتخللها أزقة ضيقة تعكس الحياة الاجتماعية في تلك الفترة. حيث نجد أنها قد راعت في تخطيطها عوامل حسن اختيار الموقع و مراعاة الظروف البيئية، إلى جانب مراعاة المقياس الإنساني و قواعد تطبيق الشريعة الإسلامية السمحة (حسنواي، 2014، صفحة 48). كما توجد بعض المواقع، التي تدل على أن إنسان هذه المنطقة قد سكن الكهوف في فترات سابقة.

إن هذه الجهة كانت تشكل نبض حياة القرية، بعد أن تحولت شيئا فشيئا نحو الشارع الرئيسي الذي سبق وأن حددناه حيث تتمركز فيه المحلات التجارية، المقاهي و مختلف الأنشطة.

2. أنواع المساكن بقرية زلبون:

يعد المنزل الريفي انعكاسا صادقا لظروف البيئة والمجتمع والمواءمة بين المسكن والوسط الذي يعيش فيه الإنسان من بيئة لأخرى (الرب، صفحة 143). وكما تختلف المساكن الريفية في موادها فهي تختلف في خطتها، وشكلها، فمنها البسيط المتواضع جدا، ومنها المنتظم شكلا وخطا ومنها المستطيل الشكل ومنها الكبير ذو الطابقين إلى غير ذلك من الأشكال والأحجام (الرب، صفحة 144). ومنه تعدد الوجوه التي ينبغي أن يتناول منها المنزل أنثروبولوجيا لأنه ظاهرة معقدة تتداخل وتتشابك في إنتاجها عوامل عديدة (بن معمر، 2021، صفحة 19). إن المسكن القروي بمنطقة "زلبون" يمكن حصره في ثلاث أجيال أساسية كما يلي:

1.2. الجيل الأول:

مسكن تقليدي تشكله مواد البيئة المحلية الحجارة، التراب، الأخشاب الغابية يتركز معظمها في وسط القرية، يتميز بالتكتل والبساطة من حيث الشكل الخارجي، فأغلب المساكن من هذا النوع لا يحتوي على نوافذ تطل للخارج، وذات طابق أرضي. أما فضاءه الداخلي يتكون من فناء أو وسط الدار مفتوح للسماح محاط بالغرف وفي العادة يكون هناك مكان مخصص للحيوانات. والملاحظ أن هذا النموذج قد عمر طويلا رغم ما مر به المجتمع من أحداث في الفترة الاستعمارية، كما أنه يعكس نمط الحياة الاجتماعية السائدة في تلك الفترة من حيث السكن الذي يحوي الأسر الموسعة، والطبيعة الاقتصادية المبنية أساسا على روح التضامن وسيطرة القيم التقليدية. إن هذا النوع من المساكن بدأ يختفي في الوقت الحالي نظرا لتطور نمط ومواد البناء فوجود بعض المباني من هذا النوع إنما يدل على الحال الميسور لصاحبه من الناحية الاقتصادية أو أنه إرث لعائلة لم يتم تقاسمه بين أفرادها

2.2 الجيل الثاني:

يعبر هذا النمط عن مرحلة انتقالية بدأ يشهدها المجتمع من ناحية استخدام مواد بناء جديدة والتخلي عن مواد البيئة المحلية. أما من ناحية الشكل فالملاحظ أنه قد حافظ على مميزات المسكن التقليدي ومساحته في البداية، كالإبقاء على وسط الدار، وطريقة توزيع الغرف داخل المسكن. الجديد في هذا النموذج هو بداية انفتاحه للخارج عن طريق النوافذ، والارتفاع من خلال اعتماد الطابق الأول في البناء وظهور البالكونات وتخصيص مكان في الطابق الأرضي لممارسة نشاط تجاري أو مهني. كما بدأت تحدث تغيرات على مستوى التهيئة الداخلية للمسكن، كالتزيج، والاهتمام بشكل المطبخ والتأثيث، وتخصيص مكان للتلفزيون والهاتف الثابت التي اعتبرت عناصر عصرية في تلك الفترة.

3. الجيل الثالث:

وهو نموذج عصري مواكب للتطورات الحاصلة على مستوى تقنيات ومواد البناء، وكذا الوسائل والتجهيز والتأثيث الداخلي. كالمكيفات، والافرشة العصرية وتنظيم المطبخ. فهو يمتاز بالتخطيط المسبق لمختلف أجزائه تبعا للوظيفة التي تؤديها للسكن المريح. وقد تم التخلي عن وسط الدار نهائيا واستغلال ذلك الفراغ لممارسة أنشطة اقتصادية مختلفة، و"كراجات" للسيارة. فالسكن يخصص له الطابق الأول والثاني حسب عدد أفراد الأسرة وتوزيعهم داخل المسكن. وعلى عكس النموذجين السابقين يلاحظ أن هناك اهتمام بالمظهر الخارجي للمسكن من طلاء وتقنيات معمارية حيث تدل في الغالب عن المستوى المادي لصاحبه.

إن هذه النماذج الثلاث تعبر عن فترات مختلفة انتقل عبرها المشهد العمراني بمنطقة "زلبون" من مرحلة لأخرى، وقد صاحب كل ذلك تغيرات اجتماعية واقتصادية وثقافية. كما تبين الصلة المزدوجة بين السلوك والشكل، و كان أموس رابوبوت قد حدد وجهة نظره في هذا الجانب، حين تنطرق إلى أن فهم

جوانب السلوك، بما في ذلك الرغبات والدوافع والمشاعر، أمر أساسي لفهم الشكل المبني (Rapoport, 1980, p. 22)



تبرز الصور نماذج المساكن الموجودة بالقرية والتي تجمع بين التقليدي و الحداثي من إعداد الباحث
3. قراءة في تطور المسكن والمجال بالمنطقة:

لقد حددنا فيما سبق مورفولوجية القرية وأنواع المساكن الموجودة بها، و قد ذكرنا كيف أن التوسع العمراني قد ساد من جهتي الشرق والغرب، و ذلك نظرا لصعوبة التضاريس من جهتي الشمال والجنوب. إن ملكية الأراضي "بزلبون" أغلبها ملكية خاصة، ماعدا تلك الأراضي التي وزعت على بعض السكان في سنوات السبعينات و الثمانينيات الذين كانوا يتركزون بوسط القرية القديمة. فالمسكن في هذه المنطقة كان يتميز بمواد البيئة المحلية المتمثلة في الخشب و الحجارة، والطين وذات طابق أرضي، تعيش فيه العائلة الموسعة و تتمركز حول مصادر المياه المتمثلة في الينابيع، والأبار التي غالبا ما كانت توجد داخل المنازل. وكانت هذه المصادر تعتبر كامتداد لفضاء المسكن، حيث كان يتعلق النسوة حولها لقضاء حاجاتهم من الماء. كما كان هناك مصدر مائي آخر مهم يقع في جنوب القرية "فوق الجرف". و المتمثل في العين الكبيرة التي كانت تسقي الحقول المتواجدة في أطراف القرية، و قد ساعدها شدة الانحدار في الوصول لهذه الحقول كما أن " الجماعة" هي من كانت تشرف وتنظم دور كل فرد في الري. و قد تبين لنا أن هذا التقسيم كان يستند إلى تنظيم يخضع لنظام القرابة و طبيعة العائلات من حيث قدمها في القرية، حيث تستفيد تلك العائلات من حصص أكبر في عملية التوزيع، كما كانت الأحياء داخل القرية تحمل أسماء قرابية مثل "درب أولاد بوجمعة درب أولاد إبراهيم" ودرّب " أولاد عياد" و قد زدتنا مصادر البلدية ببعض المعلومات لتي تبين شكل التوسع الذي قد حصل في تلك الفترة و هو على الشكل التالي :

من سنة 1975 الى سنة 1983 (القطاع التقني لبلدية بني مستار)

المنطقة	عدد المستفيدين من قطع أراضي
حي عين الرملة	85
حي الوطنية	31
حي باب العسة (الوكدة)	33

إن هذا الجدول يبين لنا تشجيع السلطات المحلية للسكان على الاستقرار بالمنطقة، في فترة كانت تعيش فيه الأرياف بالجزائر نزوحا رهيبا نتيجة للتحويلات التي عرفتها المدن، من خلال ظهور المصانع و استقطاب الأيدي العاملة. كما يبين لنا أن هذا التوسع قد قلص من منظومة الأسر الموسعة، و ظهور أحياء جديدة تحمل أسماء الأماكن المتواجدة بها: حي الوكدة (باب العسة)، حي عين الرملة الخ، الأمر الذي جعل من القرية مجتمع كلي يحمل أجزاء بداخله، أكسب سكان هذه الأحياء هوية يعرفون من خلالها، أي هوية الحي يطلق على الأفراد نسبة إليه، ولوحظ أيضا أنه في تلك الفترة أصبحت المنازل تبتعد نوعا ما عن مصادر المياه، مما تتطلب إيصال الماء إلى البيوت وهو ما عملت عليه السلطات المحلية و ذلك من خلال استغلال العنصر المائي " العين الكبير" لتزويد سكان القرية بالماء الصالح للشرب، عن طريق إنشاء خزانات و يتم التوزيع من خلالها بشكل منتظم. للإشارة فإن الأراضي التي تم التوسع عليها تعتبر أراضي جبلية، صعبة التربة حيث قام المستفيدون منها " بتطويعها*" حسب ما أشار إليه أحد الأهالي، كما أخذ شكل البناء توجها رأسيا مع تحول في مواد البناء (الاجر، الخرسانة، الحديد). وقد اطلعنا من مصادر بلدية بني مستار على وثيقة متعلقة بتحويل الملكية لسكان عين الرملة، الوطنية وباب العسة. وذلك بموجب مداولة رقم 10 بتاريخ 20-02-1993 حيث تم الموافقة على تسوية وضعيتهم (القطاع التقني لبلدية بني مستار). بعد أن كانوا قد تقدموا بشكوى لمصالح البلدية، يطالبون فيها بتحويل الملكية. و في سنوات التسعينيات، قدمت السلطات المحلية بعض الإعانات تتمثل في مبالغ مالية للبناء قدرت ب 12 مليون سنتيم حيث زدتنا نفس المصادر، بأعداد المستفيدين من سنة 1993 إلى سنة 1999 وهي كما يلي :

(القطاع التقني لبلدية بني مستار)

السنوات	عدد المستفيدين	القيمة المستفاد
1993	5	12 مليون نسمة
1994	4	12 مليون نسمة
1995	8	20 مليون
1996	3	12
1997	5	12
1998	5	12
1999	7	12

وفي إطار دعم البناء الريفي في سنوات الألفينيات، استفاد عدد معتبر من الأفراد من حصص مالية، قدرت بسبعين مليون سنتيم، فحسب نفس المصادر فقد استفاد حوالي 155 شخص وذلك من سنة 2005 إلى غاية 2014 (القطاع التقني لبلدية بني مستار)، حيث يشترط على المستفيد أن تكون له قطعة أرضية، وأن يعد ملفا يودعه إلى مصالح البلدية لتتكفل بالإجراءات القانونية اللازمة، وبعد الموافقة يشرع المستفيد في البناء حيث يستلم الإعانة على ثلاث مراحل، يقدم له في المرحلة الأولى مبلغ بمقدار 14 عشر مليون سنتيم بعد أن يضع أسس البناء، و28 مليون سنتيم عند وضع السقف، و28 مليون سنتيم أخرى عند الانتهاء من البناء، مع المراقبة الدائمة في كل مرحلة. حيث يجبر المستفيد باحترام المخطط الذي وضعته البلدية مسبقا والذي يتمثل في بناء ذو طابق واحد مهيا للسكن. ويتم تغيير شكل المسكن، بعد انتهاء الالتزام الذي وضعته السلطات، حسب ثقافة الشخص في تصوره لمسكنه، وقدراته المادية. حيث يلاحظ أن البعض قد واصل البناء في الأعلى وأجرى تعديلات على الطابق الأرضي حسب احتياجاته الخاصة، (محل، مرفأ، السيارة...)

بالإضافة إلى حجم دعم الدولة في عملية التوسع العمراني، طيلة تلك المراحل التي تطرقنا إليها، فهناك أيضا العديد من أفراد القرية من ساهم بأمواله الخاصة، نخص بالذكر فئة المغتربين والذين كان لهم الأثر الكبير على حركة البناء. باعتبارهم مالكين لرؤوس الأموال، وقد لوحظ خلال تلك الفترة أيضا

الاهتمام بالشكل الخارجي ومستوى ارتفاع المسكن . كما امتلأت الفراغات التي بداخل القرية، التي كانت تعتبر حقول تقع على أطرافها في وقت سابق، بعد أن حاصرتها البنايات من كل جهة .



الصور تظهر التوجه الرأسي في البناء: إعداد الباحث

4. مظاهر التحول المجالي والمعماري للسكن بالقرية:

إن التحول المجالي والمعماري الحاصل بقرية زلبون تعبر عنه عدد من المظاهر، يمكن من خلالها استقراء حجم التغيرات التي تدل على انتقال المجتمع من النموذج التقليدي، إلى الحدائي خاصة عند ربط الظاهرة العمرانية بالقيم الاجتماعية والثقافية. ولعل أبرز هذه المظاهر ما يلي:

4.1. تفكك نواة السكن الأصلية للقرية:

التوسع العمراني الذي حدث، أدى إلى خلق مجالات عمرانية جديدة، وفي اتجاهات مختلفة وبالأخص جتي الشرق والغرب للقرية، هذا التشتت المجالي للسكن الريفي بالمنطقة واكبه تغير جذري في مواد البناء، وفي تصميمه الهندسي. يتعلق الأمر بالمساكن التي تظهر على جانب الطرقات (عبد الواحد العمراني، خالد أبدا، 2019، صفحة 207). مع تحولات بسيطة بالمساكن القديمة وسط القرية. ويرجع ذلك إلى التكتل العمراني وصعوبة إدخال مواد البناء لإجراء تغييرات على المسكن، مع اعتبارات اجتماعية أخرى. فالانتقال مثلا إلى بناء مسكن جديد خارج البيئة التقليدية، وما يتطلبه من إنفاق مادي لمهينته حتما يعيق التفكير في إعادة إجراء التغييرات على المسكن التقليدي. كما يعتبر هذا الأخير ملك للعائلة الموسعة، ومع بداية تغير نمط الأسر أصبح بناء مسكن من أوليات الأفراد كتعبير عن استقلاليتهم، كل هذه الأمور وغيرها قد ساهمت في تغير مورفولوجية القرية من الناحية العمرانية.

4.2. تغير في وظائف المسكن:

منذ الستينيات سيعرف السكن الريفي تطورات هامة شبيهة بتلك التي عرفتها المدن، وبالتالي سيعرف هذا السكن تغيرات أبعدت العديد من المرافق التي كانت تميزه لتخلق مرافق جديدة تتماشى والمستوى الاقتصادي والاجتماعي لسكان الأرياف (بوهلال، عبد السلام، 2016 ، صفحة 71، 70). وقد

تميز المسكن التقليدي بزلبون بوظيفتين أساسيتين، الأولى كماوى للعائلات والأخرى كوحدة إنتاجية. غير أن السكن عرف تحولات هامة على المستوى الوظائف التي كان يؤديها، حيث انتقل من السكن الريفي الذي كان جزء كبير منه يخصص لتربية الماشية وتخزين المحاصيل السنوية، إلى سكن ريفي يؤدي وظيفة محددة ورئيسية تتمثل في السكن فقط، مع ممارسة بعض الأنشطة التجارية. (عبد الواحد العمراني، خالد أبدأ، 2019، صفحة 216).

3.4. التغيير في شكل المساكن وهيكل البنية الداخلية:

أفرزت التحولات الاجتماعية والثقافية التي شهدتها القرية ظهور أنماط جديدة من المساكن، يتجلى ذلك بوضوح من خلال مورفولوجيتها وبنيتها الداخلية. فعلى مستوى الشكل أخذت المساكن توجهها رأسيا وقد اتسمت بالطابع الحضري من حيث التصميم. أما على مستوى التنظيم الداخلي لهذا النوع من السكن فيتميز بكون عدد غرفه أصبح محدودا لا يتعدى أربع غرف (عبد الواحد العمراني، خالد أبدأ، 2019، صفحة 207). مع التخلي عن بعض المظاهر العمرانية التي تميز بها المسكن التقليدي. لعل أبرزها وسط الدار حيث تحولت بعض النشاطات التي كانت تقوم بها المرأة كالغسيل وتجفيف الملابس إلى السطح، إذ خصص به مكان يطلق عليه "بيت الصابون".

5. التغيير على مستوى توزيع الأسر داخل المسكن:

رغم اختلاف طرق التعايش من أسرة لأخرى إلا أن التنظيم المجالي في المسكن العصري يوحي بأن هناك تحول على مستوى بنية الأسر بقرية زلبون، من خلال تقاسم الفضاء الداخلي بالنسبة للأسر المركبة، التي أصبحت تنتقل إلى أسر نووية. وبالتالي نجد أن بعضها تنفرد بجهة معينة في مسكن الأب أو البناء في أعلاه، مع جعل مدخل خاص لها وتجهيزه على حساب احتياجاتها. الأمر الذي يجعلها تحس بالاستقلالية، وينطبق هذا خاصة على الأسر الميسورة التي لم تستطع بناء مسكن جديد. أما الأسر المستقلة بمسكنها الخاص فالتوزيع داخل المسكن يكون على حساب الجنس والعمر، فهناك غرفة الزوجين، وغرف للإناث وأخرى للذكور، بالإضافة إلى غرفة الضيافة، والمطبخ والحمام، فعلى عكس المسكن التقليدي الذي كانت تتشارك الأسرة الموسعة التي تضم الجد والأعمام في مجال واحد، أصبح المسكن يقتصر على الأب وأبنائه أي الأسرة النووية.

خاتمة:

حاولنا من خلال هذه الدراسة وصف المجال العمراني والسكني بمنطقة "زلبون" ومراحل تطوره، إضافة إلى مظاهر التحول، التي تدل على وجود انتقال من نمط اجتماعي يتميز بخصوصية ريفية، إلى نمط حديث. ويرجع ذلك إلى حجم التغيرات الاجتماعية والثقافية التي مر بها المجتمع. وقد كانت قراءتنا للمسكن وتحوله، بمثابة الموضوع الذي من خلاله يتم الكشف عن معطيات الحياة الاجتماعية وما تتعرض له من تحولات، كما يفسر لنا السياقات الاجتماعية التي صاحبها أشكال معينة من المساكن.

فالمسكن التقليدي مثلا إنما يدل على مجموعة من القيم الاجتماعية التي تميز المجتمعات التقليدية كالنضمان، والتعاون، وروح الجماعة. عكس المسكن الحديث الذي تميزه طبيعة الحياة المعاصرة. المتمثلة في قيم الفردانية والاستهلاك الاقتصادي.

إن هذا التطور العمراني في رأينا لم يحظى بمصاحبة تنظيمية للعمليات العمرانية من طرف السلطات الوصية، بالرغم من المجهودات المبذولة في هذا الشأن مما أدى إلى ظهور بعض المشاكل لعل أبرزها:

-التوسع على حساب الأراضي الفلاحية وتحويلها إلى أراضي عقارية خاصة بالبناء
-التطور التدريجي للبناء لم يراعي متطلبات العصر، وطبيعة النمو الديموغرافي مما أدى إلى تكتل
البنائات داخل القرية وضيق شوارعها
-فقدان المجتمع للخصائص الريفية المبني على الأسس القربائية، والتشعب بالقيم الحضرية،
وتلاشي الحدود المجالية بين العام والخاص.

قائمة المصادر والمراجع

- احمد نجم الدين فليجة. (1979). الجغرافية البشرية (الإصدار ط2). جامعة بغداد : مطبعة الجامعة.
القطاع التقني لبلدية بني مستار .
بوهلال، عبد السلام. (2016). التحولات الحديثة للسكن القروي بالريف الأوسط نماذج من صنهاجة
سراير . مجلة تدغين للأبحاث الأمازيغية والتنمية (عدد5-).
توفيق بوزناشة. (2015). دليل الجمهورية (الإصدار ط1).
حسام الدين جاد الرب. (بلا تاريخ). الجغرافيا البشرية. تم الاسترداد من www.kotobarabia.com
عبد الله بن معمور. (2021). الفضاء السكاني والثقافة : نحو أنثروبولوجيا للمنزل. مجلة الثقافة الشعبية
(52).
عبد الواحد العمراني، خالد أبدا. (2019). السكن الريفي بالمناطق الجبلية للريف الاوسط
الجنوبي: التحولات المجالية والمعمارية حالة بوعادل، اقليم تاونات، مختبر الدينامية المجال التراث والتنمية
المستدامة 7.
عياد أبالال. (2012). الحركية الاجتماعية والتحولات السوسيو مجالية الشباب، الأسرة والوعي بالتغيير
(المجلد 1). القاهرة: روافد للنشر والتوزيع.
محمد شناق. (1998). المسكن والتصوير الاجتماعي المكاني : دراسة أنثروبولوجية لمجتمع الملاحه في الأغوار
الوسطى. مجلة أبحاث اليرموك ، 3.

يعي حسناوي. (2014). رؤية المستشرفي للعمارة الاسلامية . مجلة الوعي الاسلامي الصادرة عن وزارة الاوقات و الشؤون الاسلامية لدولة الكويت (العدد 588).

Rapoport, A. (1980). Pour une anthropologie de la maison.collection "Aspects de l'urbanisme". Dunod.

Statistiques sociale/emploi et chômage (au quatrième). (2007). Retrieved from www.ons.dz.